

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبون حسنة  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك  
١٣١٥

بوتى الحكمة من بشاه ومن برون الحكمة فبشر  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ ق سنة ١٣٣٨ - ٢١ الاسد (ص ٣) سنة ١٢٩٨ هـ ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٥

## فَسَاءَ مَا يَدَّبَّرُوا

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذا لا يسع الناس ثامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله ( وظيفته ) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وأنتا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ القرآن كلام الله لا كلام جبريل ولا محمد عليهما السلام ﴾

( س ١ ) من الشيخ محمد عريقات وامام مسجد عر الدين في ( برنال ) غربية  
حضرة صاحب الفضيلة مولانا رشيد الامة ومرشدها الارشد  
أعرض على فضيلتكم مسألة علمية أرجو التكرم بإفادتي بالقول الفصل فيها ولكم  
جزيل الثواب

وهي مسألة المنزل من القرآن هو اللفظ والمبنى أو المعنى فقط وعبر باللفظ محمد عليه السلام أو جبريل كما ذكره "الاجوري" على الجوهرية عند قول الناظم ( ونزه القرآن أي كلامه الخ ) مع ترجيحه للقول الاول الذي هو اللفظ والمعنى معبر عنه بالراجع مع أنهم ذكروا في الاصول من شروط الترجيح اتساوي في القوة فلا ترجيح بين

التعظيم والظهي بل يقدم تعظيمي اتفاقا. والمتبادر لي أن من المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن كلام الله حقيقة وأنه المعجز الأ كبر المتحدى به حقيقة كما لا يخفى هذا ونصوص القرآن والسنة الناطقة بنزول القرآن بلفظه ومعناه كثيرة جدا لا يخفى على فضيلتكم كقوله تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لسخ (إنا أنزلناه قرآنا عربيا) ومثلها كثير في القرآن وقوله (لا تحرك به لسانك) الخ وقوله (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) الخ وقوله (الله نزل أحسن الحديث الخ) وقوله (إن هذا الا قول البشر سأصليه سقر) الخ وقوله (فأما يسرناه بلسانك) الخ وقوله (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلائه تنزيلاً) وقوله (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت متبر بل أكثرهم لا يمانون) وقوله (وإنه لتنزيل رب العالمين) نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين \* بلسان عربي مبين \* ثم قال بعدها - ولو نزلناه على بعض الأعجمين \* فقرأه عليهم ما كانوا مؤمنين - الخ وقوله (إنه لقول فصل وما هو بالهزل) وقوله (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون \* وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) وتتبع الآيات بطول ذكره ولا يخفى على فضيلتكم ، ومن السنة حديث متواتر ألا وهو قوله عليه السلام « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فهل يعد ذلك القول بالقول الثاني والثالث ككفرًا كما هو ظني أم لا؟ وهل القول بهما الآن يعد ككفرًا قطعا كما هو اعتقادي أم لا؟ أرجو التكرم بالقول الثاني ، والجواب الكافي بالمنار الاغر في أقرب فرصة لا يرحم ملجأ السائلين ، ونورا ميذا للمستضيئين ، آمين .

(الامضاء)

[المنار] ورد هذا السؤال منذ سنة ونصف وطال الامد على نشره والجواب عنه فأعاده صاحبه بالعبارة الآتية في أوائل هذا العام إذ كنا في سورية وهذا نصه :  
فضيلة امام العصر الوحيد ، مولانا الاستاذ السيد محمد رشيد ، تمع الله به الأمة ، وكشف به كل غمة آمين

هل القرآن كلام الله أو كلام محمد أو كلام جبريل ؟ وإذا كان المتطوع به المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن كلام الله تعالى فما الداعي للخلاف الذي ذكره السيوطي في الاتقان بان المنال من القرآن هو اللفظ والمعنى أو المعنى فقط وهر عنه محمد عليه السلام باللفظ العربي أو المعنى فقط أيضا وعر عنه جبريل باللفظ

العربي ، وكذا ذكره الباجوري على الجوهرة مرجحاً الأول والأمر على الجوهرة أيضاً والخضري في مقدمة التفسير والتأوي في تفسير ( نزل به الروح الأمين على قلبك ) الآية فهل هذا الخلاف له أصل مقبول معقول منقول أو انه مدسوس على أهل اللغة ؟ وكيف يكون له أصل مع أن اعتقاد ظاهره كفر ؟ هذه مسألة من أهم أصول الدين ولا تقليد في الاصول فما بقي الا أن تقوموا بتحقيق الحق وازالة حجب الخيرة عنها وتكرموا بافادتنا بالنسار أو بالبريد ولكم الشكر لا برحمتك عضد الحق ونوال السائلين امين

( ج ) ان الذي ندين الله تعالى به عن علم يقيني راسخ هو ان هذا القرآن العربي المكتوب في المصاحب المقروء بالاسنة باللغة العربية هو كلام الله تعالى المهجز للبشر ولغير البشر من الخلق وانه ليس لجبريل روح القدس منه الا تبليغه عن الله عز وجل نظام الرسل عليه الصلاة والسلام كما ان الرسول (ص) ليس له منه الا تبليغه عن الله تعالى لمن ارسل اليهم . فجبريل عليه السلام تلقاه من الله عز وجل بالصفة التي تليق به تعالى ولا يعلمها من خافه الا جبريل ، ومحمد (ص) تلقاه من جبريل بالوحي الذي لا يعرف كنهه الا الرسل الذين تلقوا مثله عن جبريل . والمصحابة سمعن من النبي (ص) كما سمعه منهم التابعون ومن تبهم الى عصرنا هذا وكما يسمعه بعضنا من بعض بأصواتنا البشرية لافرق بين قراءتنا له وقراءة من قبلنا الا بما نلناه من التفاوت في التجويد وحسن الاداء

وانه ليس تعريف الكلام بحد جامع مانع تعرف به حقيقة منه كما يمسر تحديد مثله من الحقائق المعلومة بالضرورة . ومما يحسن ان يقال في تعريفه في الجملة انه صفة من صفات العالم وشأن من شؤونه يتمثل به علمه في نفسه وفي الخارج ، وما يتمثل به العلم في الخارج من الكلام يصل به الى غير صاحبه فيعلم به من يصل اليه من علم ذي الكلام ما تمثل له بصوت وحرف أو بكتابة ورسم أو بنبر ذلك . فلانسان منا يتكلم في نفسه فيبني فيها ما يريد ان يقوله لزيد أو عمرو ، وينظم الشعر ثم ينطق به أو يكتبه ثم يقرأه ، وربما كتب شيئاً ولم يقرأه . واذ نطق بالكلام المتمثل في نفسه رسم نطقه في الهواء بصورة أو صفة غير التي يرسم بها في الصحف فنسمه أدرك بسمعه مما رسم في الهواء عين ما هو مرسوم في لوح نفسه بصورة أخرى وكذلك

من رآه في الصحيفة يدرك ما رسم فيها غيره ما قام بنفس المتكلم وتمثل فيها من ذلك وقد اخترع البشر في العصر الاخير وسائل لاداء الكلام وتبليغه لم يكن يعرفها ولا يعقلها أهل تصور السابقة كالتلغراف السلكي والتلغراف الهوائي أو اللاسلكي وكل منهما مظهر من مظاهر الكلام النفسي ووسائل ادائه ويسمى كلاما حقيقيا لا مجزيا . وينسب كل كلام الى من صدر عنه وكان يجلي كلامه النفسي ، فالجملة من كلام زيد من الناس يتأقلمها الناس بالستهم وأقلامهم وآلات التلغراف والتلفون وكل منهم يقول إنها كلام زيد . فالكلام ما يمثل به علم العالم لنفسه أو غيره واختلاف صفة التمثيل للنفس واغبر النفس لا تمنع اطلاق اسم الكلام على كل منهما حقيقة ، فمن يرى في القرطاس : قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل . يقول : إن هذا كلام امرئ القيس ، ومن يسمع ذلك من لسان أي انسان يقول ذلك . ولم يقل أحد من العرب في هذا القول لذي كتب وعلق على الكعبة ثم كتب في الصحف وقرأه الناس إن نغظه لرسم في الصحيفة هو كلام الراسم وإن الذي أنشد على الناس منه هو كلام المنشد وإن معناه لامرئ القيس فقط أو ان ما مثل من هذا النظم في نفس امرئ القيس هو شعره وما تقرأه في الكتب أو من حفظنا لمعقته هو كلامنا ، ولا إن هذا كلامه مجازاً وذلك كلامه حقيقة ، بل اجمعوا على أن هذه القصيدة كلامه وأنه ليس لرواتها بالقول والكتابة حظ منها الا العقل للكلام غيرهم

وإذا قدر البشر على تمثيل كلامهم النفسي بعدة مظاهر لا يختلف مدلولها عن مدلول مني أنفسهم قلته تعالى أقدر منهم على ابلاغ كلامه النفسي لرسله من الملائكة والناس بما يليق باستعداد كل منهم فلا غرو من ان يكون لوحيه للملائكة صفة غير صفة وحيه للرسل من البشر فيها يكلمهم به بغير واسطة الملك وان يكون لما يسمعه النبي من الملك صفة غير صفة ما يسمه الملك من الرب سبحانه وتعالى ، ولكن الكلام واحد في جميع مظاهره لا يختلف باختلاف طرق ادائه وتبليغه كما نعرفه في الكلام المسموع بالاذن والمقرود في الصحف والمأخوذ من آلة التلغراف السلكي أو الهوائي ومثله المرسوم في الهواء أو ما تكيف به الهواء ، وبهذا المثال يظهر للمتأمل أن تجلي كلام الله تعالى في الالسنه والصحف والهواء وآلات التلغراف وفي اللوح المحفوظ وفي أنفس

الملائكة والبشر لا يخرجهم عن كونه كلامه تعالى ولا يقتضي ان تكون صفة الكلام النفسية له تبارك وتعالى مشابهة لصفة الكلام في أنفس البشر أو غيرهم من خلقه تعالى ، ولا أن يكون تكليمه الملائكة ولموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كتكليم بعضنا بعضاً ولكن مؤداه واحد فالذي نقرأه أو نكتبه في المصاحف هو عين ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد (ص) فتلقاه عنه بهذه اللغة العربية وهذا الاصلوب المعجز الذي يعجز عليه الصلاة والسلام كغيره من البشر عن مثله بمقتضى ملكته العربية ، ولذلك نرى أسلوبه غير أسلوب الحديث ونظمه غير نظمه بل يكثُر في الحديث من الالفاظ المترادفة والصيغ المفردة غير ما في القرآن كاللفظ «عرفة» وهو لم يذكر في القرآن الا باللفظ «عرفات» ولفظ الصوم وإنما ذكر في القرآن لفظ «الصيام»

ولو كان ما تلقاه النبي (ص) من كلام الله تعالى هو معاني القرآن دون عبارته لكان القرآن كلامه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا كلام الله تعالى ، لان الكلام هو العبارة التي تتجلى فيها المعاني من علم المتكلم ، ومن أخذ عن غيره علماً من العلوم ففهم منه القواعد والمسائل ثم كتب في ذلك كتاباً فان ما في الكتاب من الكلام ينسب الى كاتبه لا الى استاذه الذي تلقى عنه تلك المعاني التي دونها في كتابه ، والقرآن كلام الله تعالى نسب اليه في آيات كثيرة كقوله ( وان أحد من المشركين استنجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ) وفي أحاديث متعددة وأجمع على ذلك المسلمون وإنما اختلف المتكلمون منهم في نظريات فلسفية في تعريف الكلام النفسي واللفظي وفي كونه من الصفات التي تقوم بذات الله تعالى أو التي لا تقوم بها تولد منها شبهات يصادم بعضها بعضاً وكل ما خالف منها ما فهمه جمهور السلف الصالح من نصوص الكتاب والسنة فهو مردود على أهله بالنقل القطعي الذي لا مصادم له من البرهان العقلي .

وأول من أحدث هذه النظريات في الاسلام الجعد بن درهم وجهم بن صفوان ونصرت المنزلة نظريات جهم وأنخدع ببعضها كثير من أهل السنة وكان الامام أبو الحسن الأشعري من نظار المقترلة ثم رجع الى مذهب أهل السنة ولكنه لم يترك

نظر ياتهم المخالفة للسلف كلها دفعة واحدة ومذهبه في مسألة الكلام الالهي لم يكن عين مذهب السلف ولا غيره من مذهب المعتزلة والجهمية وثبت تبعه فيها كثير من كبار النظار كاتماضي أبي بكر الباقلاني وأشهر الصنفين في الكلام من أتباعه رله عبارة في ذلك اتخذوها أصلاً وفرعوا عليها ، لذلك صار ينقلها علماء العقائد والمفسرون وشراح الاحاديث في كتبهم ، ولا شك في كون بعض تلك البدع تعد خروجاً من الملة وكون بعضها يتأزم ذلك ولكن التحقيق عند علماء الاصول والكلام ان لازم المذهب ليس بمذعب ، وان أكثر أصحاب تلك النظريات المخالفة لظواهر نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصانع لم يقولوا بها الا عن شبهات عرضت لهم أو اغبرهم من المنكرين للاسلام فأرادوا أن يقيموا حجة الاسلام بما قنوه بحسب اجتهادهم مع ادعائهم لاحكامه وعمامهم به فكيف يقدم أحد على تكفيرهم مع ذلك . وقد رجم أشهر معتني المتكلمين من الاشاعرة في مسألة الكلام والقرآن والصفات الى مذهب السلف في أواخر أعمارهم ومنهم من ارجم كلام مخالف السلف من أئمتهم الى وفاق واليك ما قاله في مسألة الكلام علامتهم المضد صاحب كتاب المواقف الشهير وتلمه عنه في شرحه له السيد الجرجاني قال :

« واعلم أن للمصنف مقالة مفردة في تحقيق كلام الله تعالى على وفق ما أشار اليه في خطبة الكتاب ومحصولها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ وأخرى على الامر القائم بالغير ، فالشيخ الأشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي فهم الاصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو التديم عنده ، وأما العبارات قائما نسي كلاماً مجازاً لدلالاتها على ما هو كلام حقيقي حتى صرحوا بان الاتفاظ حادثة على مذهبه أيضاً لكنها ليست كلامه حقيقة . وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم اكفار من أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة ، وعدم المعارضة والتجدي بكلام الله الحقيقي ، وعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة - إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الاحكام الدينية فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني فيكون الكلام النفسي عنده أمراً شاملاً للفظ والمعنى جميعاً قائماً بذات الله تعالى وهو

مكتوب في المصاحف مقروء بالالسن محفوظ في الصدور ، وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادثة . وما يقال من أن الحروف والافات مترتبة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتيب إنما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة فالتلفظ حادث والادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوث اللفظ دون حدوث اللفوظ . جماعاً بين الادلة . وهذا الذي ذكرناه وإن كان مخالفاً لما عليه متأخرو أصحابنا إلا أنه بعد التأمل تعرف حقيقته . تم كلامه (قال السيد) « وهذا المحمل للكلام الشيخ (أي الأشعري) مما اختاره الشيخ محمد الشهرستاني في كتابه المسمى بنهاية الاقدام ولا شبهة في انه اقرب الى الاحكام الظاهرية المنسوبة الى قواعد اللغة اه فالسيد الجرجاني قد ارتضاه أيضاً » وقول السيد في مقدمة العبارة « على وفق ما أشار اليه في خطبة الكتاب » يعني به قول صاحب المواقف في الكلام على رسالة النبي (ص) من الخطبة مانصه « وانزل منه كتاباً عزيزاً مديناً ، فأكل لعباده دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الاسلام ديناً ، كتاباً كريماً ، وقرآناً قديماً ، ذا غايات ومواقف ، محفوظاً في القلوب مقروء بالالسن مكتوباً في المصاحف ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يتطرق اليه نسخ ولا تحريف في أصله او وصفه »

قال السيد الشارح في شرح ما قبل الجملتين الاخبرتين من هذه الاوصاف والنصوت : وصف القرآن باقدم ثم صرح بما يدل على انه هذه المباركة المنظومة كما هو مذهب السلف حيث قال ان الحفظ والقراءة والكتابة حادثة لكن متعلقها اعني المحفوظ والمقروء والمكتوب قديم ، وما يتوهم من ان ترتب الكلمات والحروف وعروض الانتباه والوقوف مما يدل على الحدوث فباطل لان ذلك لقصور في آلات القراءة . واما ما اشتهر عن الشيخ ابي الحسن الأشعري من ان القديم معنى قائم بذاته قد عبر عنه بهذه العبارات الحادثة فقد قيل انه غلط من الناقل منشأ اشراك لفظ « المعنى » بين ما يقابل اللفظ وبين ما يقوم بغيره . وسيزداد ذلك وضوحاً فيما بعد ان شاء الله تعالى اه

وتقول اذا كان ما ذكره « العلامة الهضد » وواقفه عليه « السيد السند » هو مراد الشيخ الأشعري من عبارته المشهورة - التي لا يبعد ظاهرها الذي تمسك به

جهود أتباعه عن نظريات أصحابه القدماء من المعتزلة وغيرهم — فيها ونعمت  
والإفهامي مردودة عليه وعلى كل من خالف السلف الصالح من أتباعه وغيرهم تملأ  
بقوله (ص) في الحديث المتفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو  
رد » ولا يفترن أحد بتلك النظريات التي بنى عليها الجهمية والمعتزلة وبعض  
الإشاعرة والكلابية وغيرهم أقوالهم في الكلام النفسي واللفظي وجعل بعضه حقيقيا  
وبعضه مجازيا : ووصف بعضه بالتقديم وبعضه بالحادث أو تسميته مخلوقا — فكل ذلك  
مبني على الهرب من وصف الخالق بصفات المخلوقين لئلا يكونوا مشبهين له بخلقه ،  
ومذهب السلف مبني على وصفه تعالى بكل ما وصف به نفسه ووصفه برسوله (ص)  
واسناد ما أسنده إليه كلامه وكلام رسوله مع الجزم بالتزييه وكونه ليس كمثل شي كما  
نزه نفسه وقامت البراهين المقوية على تزييه ولاتنافي بين الأمرين ولاتناقض. على  
أن الإشاعرة قد اجمعوا بعد تفادف بعضهم في الكلام النفسي واللفظي بما اتلسفوا به  
على ما هو معلوم من الدين بالضرورة من أن ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى  
حقيقة ليس للنبي (ص) فيه سب وانما هو مبلغ له عن ربه عز وجل كما أمره بقوله  
( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته )

وجملة تقول أن ما نزل به الروح الأمين من كلام الله تعالى على قلب محمد  
(ص) هو هذا القرآن العربي ذو الأسلوب الذي علا جميع أساليب العرب قبله  
(ص) كما تلقاه وواتاه بدون أدنى تصرف فيه ولو تصرف فيه أدنى تصرف لذكر  
مضمون الأمر دون اللفظ بفعل الأمر الذي خوطب به في مثل قوله تعالى ( قل  
إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما الحكيم الله واحد ) وقوله عز وجل ( قل إنما أمرت  
أن أعبد رب هذه البلدة التي حرمها ) فلم يذكر لفظ « قل » في مثل هذه الآيات  
وهو كثير — ولو تصرف فيه أدنى تصرف لما ذكر في أثناء بعض السور ما ألقى  
إليه على طريقة الاستطراد الذي اقتضته الحال في وقت تبليغ السورة فكان  
كالاجنبي منها كقوله تعالى في سورة القيامة في سياق الكلام عن حال الإنسان  
وشأنه في القيامة ( لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » فاذا قرأناه  
فأتبع قرآنه » ثم إن علينا بيانه ) فهذه الآيات الأجنبية عما قبلها وعما بعدها خوطب

بها النبي (ص) في اثنا وحي السورة اليه لانه انشأ يقرأ بلسانه ما كان يقوى اليه قبل ان يتم وحيه خوفاً ان ينسى شيئاً منه فشوطب به هذه الآيات على طريقة الآيات الاستطرادي ليطمئن ويعلم ان الله تعالى عصمه من نسيان شيء من القرآن ، وهو في معنى قوله تعالى في سورة طه ( ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه ) ولو كان الذي ألقى اليه المعنى دون العبارة لكان تدبره واطالة الفكر فيه مع السكوت هو الذي يثبت في ذهنه بحسب العادة لا تحريك اللسان بالعبارة المكتسبة التي يؤديه هو بها فتحريك لسانه قبل نهي الله تعالى اياه عنه دليل على أنه كان يقوى اليه المعنى في العبارة المخصوصة فحرك لسانه بقراءة العبارة لئلا ينسى شيئاً منها فنهاه تعالى عن ذلك واخبره انه ضمن له المصمة من ضياع شيء منه

وقد صح في التفسير المأثور أن المراد بقوله تعالى « قرآنه » مصدر قرأ اي قراءته : اخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عباس في تفسير الآية قال : كان رسول الله (ص) يبالغ من التنزيل شدة وكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة ان يتفلت منه يريد ان يحفظه فانزل الله ( لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ) قال يقول ان علينا ان نجعله في صدرك ثم تقرأه ( فاذا قرأناه ) يقول اذا انزلناه عليك ( فاتبع قرآنه ) فاسمع له وانصت ( ثم ان علينا بيانه ) ان نبينه بلسانك ، وفي لفظ علينا ان تقرأه ، فكان رسول الله بعد ذلك اذا اتاه جبريل أطرق — وفي لفظ استمع — فاذا ذهب قرأ كما وعده الله عز وجل . وفي رواية: قرأ كما أقرأه . ولم يرد في المسألة الا هذه الآية وتفسيرها المأثور في الصحيح لكفى بها إثباتا لكون النبي (ص) ليس له من عبارة القرآن الاحفظها كما اوجبت اليه وتبليغها كما حفظها معصوماً من الخطأ والتسيران فيها ، فكيف والآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة ومنها ما ذكره السائل في سؤاله الاول

وانا لا ترى فائدة ما في شرح تلك النظريات والشبهات الباطلة التي تورب عليها ذلك القول الباطل الذي جزم السائل يكون كفراً ولكننا نذكر السائل والعارى بان أهل الحق يتحامون التكفير ما أمكن ويشترطون في تكفير المخالف للتصريح أن لا يكون مجتهداً متأولاً واننا نقول هنا نبذة نافعة في هذه المسألة من كتاب (واقفة صريح

المعقول اصحح المنقول) لشيخ الاسلام نقي الدين ابن تيمية ، قال في أثناء شرح مسألة الكلام الالهي واقوال الفرق فيها وعبارة الأشعري التي تقدم تأويل صاحب الموافقات وانصراقة ناضي ابي بكر الباقلائي الشهير له فيها فهمه هو والجمهور منها ما نصه: «وقال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه [الفصول في الاصول] عن الائمة الفحول [وذكر اثني عشر اماما - الشافعي ومالك والثوري وأحمد وابن عيينه وابن المبارك والاوزاعي والليث بن سعد واسحق بن راهويه والبخاري وابوزرعة وابو حاتم قال فيه: سمعت الامام ابا منصور محمد بن احمد يقول سمعت الامام ابا بكر عبد الله بن احمد يقول سمعت الشيخ ابا حامد الاسفرايني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نزلوه نحن بالسنتنا وفيابين الدقين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحموظا ومنقوشا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين

«قال الشيخ أبو الحسن وكان الشيخ أبو حامد (أي الاسفرايني) شديدا لانكاره على الباقلائي واصحاب الكلام قال ولم تزل الائمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا الى الأشعري ويقرؤن مما بنى الأشعري مذهبه عليه، وينهون اصحابهم وأحبابهم عن الحوم حوالبه على ما سمعت (من) عدة من المشايخ والائمة منهم الحافظ المؤمن بن احمد ابن علي الساجي يقول سمعنا جماعة من المشايخ الثقات قالوا كان الشيخ أبو حامد أحمد ابن أبي طاهر الاسفرايني امام الائمة الذي طبق الارض علما واصحابا اذا سمى الى الجمعة من قطيعته الى جامع المنصور يدخل الرباط المعروف بالزوري المحاذي للجامع ويقبل على من حضر ويقول اشهدوا علي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما قال ابن حنبل لا كما يقوله الباقلائي. وتكرر ذلك منه جمعا فقبل له في ذلك فقال حتى ينشر في الناس وفي أهل الصلاح ويشيع الخبر في أهل البلاد أي بري بمهامه عليه يعني الأشعرية وبري من مذهب أبي بكر الباقلائي فان جماعة من المتفقهة الفرباء.

يدخلون على الباقلاني خفية و يقرؤن عليه فيفتنون بمذهبه فاذا رجعوا الى بلادهم  
أظهروا بدعتهم لاجمالة فيظن ظان أنهم منى تعلموه وانا ما قتله وانا بري من  
مذهب الباقلاني وعقيدته \*

قال الشيخ أبو الحسن وسمعت شيبخي الامام أبا منصور الفقيه الاصبهاني يقول  
سمعت شيبخنا الامام أبا بكر لزازقاني يقول كنت في درس الشيخ أبي حامد الاسفرايني  
وكان ينهى أصحابه عن الكلام وعن الدخول على الباقلاني فبلغه أن نفرا من  
أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام فظن أبي معهم ومنهم وذكر قصة قال في  
آخرها ان الشيخ أبا حامد قال لي يا بني قد بلغني أنك تدخل على هذا الرجل يعني  
الباقلاني فإياك وإياه فإنه مبتدع يدعو الناس الى الضلالة والافلا تحضر مجامعي  
فقلت أنا عائد بالله مما قيل وتائب اليه واشهدوا على أني لا أدخل اليه \* قال أبو  
الحسن وسمعت الفقيه الامام أبا منصور سعد بن علي العجلي يقول سمعت عدة من  
المشايخ والائمة يفتادون - أظن الشيخ أبا اسحق الشيرازي أحدهم - قالوا كان  
أبو بكر الباقلاني يخرج الى الحمام متبرقا خوفا من الشيخ أبي حامد الاسفرايني \*  
قال أبو الحسن ومعلوم شدة الشيخ أبي حامد على أهل الكلام حتى ميز أصول فقه  
الشافعي من أصول فقه الأشعري وعلقه عنه أبو بكر الزاذقاني وهو هندي وبه اتقدي  
الشيخ أبو اسحق في كتابه (اللمع والبصرة) حتى لو وافق قول الأشعري وجها لأصحابنا  
ميزه وقال هو قول بعض أصحابنا وبه قالت الأشعرية ولم يمدحهم من أصحاب الشافعي  
استكفروا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلا عن أصول الدين

(قلت) هذا المنقول عن الشيخ أبي حامد وأمثاله من أئمة أصحاب الشافعي أصحاب  
الوجوه معروف في كتبهم المصنفة في أصول الفقه وغيرها وقد ذكر ذلك الشيخ أبو حامد  
والقاضي أبو الطيب وأبو اسحق الشيرازي وغير واحد بينوا مخالفة الشافعي وغيره  
من الأئمة لقول ابن كلاب والاشعري في مسألة الكلام التي امتاز بها ابن كلاب  
والاشعري عن غيرها والافسائر المسائل ليس لابن كلاب والاشعري بها اختصاص  
بل ما قاله غيره من أهل السنة واما من غيرهم بخلاف ما قاله ابن كلاب  
في مسألة الكلام واتبعه عليه الأشعري فإنه لم يسبق ابن كلاب الى ذلك أحد

ولا وافقه عليه أحد من رؤوس العلوائف وأصله في ذلك هي مسألة الصفات الاختيارية ونحوها من الأمور المتعلقة بمشيتته وقدرته هل تقوم بذاته أم لا. وكان السلف والائمة يشنون ما يقوم بذاته من الصفات والافعال مطلقا والجهمية من المنزلة وغيرهم تنكر ذلك مطلقا فوافق ابن كلاب السلف والائمة في اثبات الصفات ووافق الجهمية في نفي قيام الافعال به وما يعاقى بمشيتته وقدرته ولهذا وغيره تكلم الناس فيما اتبعه كافة لانسي والأشعري ونحوهما بأن في أقوالهم بقايا من الاعتزال وعده البقايا أصلا هو الاستدلال على حدوث العالم بطريقة الحركات فان هذا الاصل هو الذي أوقع المنزلة في نفي الصفات والافعال. وقد ذكر الأشعري في رسالته الى أهل الثغرياب الابواب أنه طريق مبتدع في دين الرسل محرم عندهم وكذلك غير الأشعري كالخطابي وأمثاله يذكرون ذلك لكن مع هذا قد وافق ابن كلاب فيما يضاويه وهذا الذي نقلوه من انكار ابي حامد وغيره على القاضي أبي بكر بن الباقلاني هو بسبب هذا الاصل وجري له بسبب ذلك أمور أخرى وقام عليه الشيخ أبو حامد والشيخ أبو عبد الله بن حامد وغيرهما من العلماء من أهل العراق وخراسان والشام وأهل الحجاز ومصر مع ما كان فيه من الفضائل العظيمة والمحاسن الكثيرة والرد على الزنادقة والملحدون وأهل البدع حتى انه لم يكن في المنسبين الى ابن كلاب والأشعري أجل منه ولا أحسن تصنيفا وبسببه اتشهر هذا القول، وكان منتسبا الى الامام احمد وأهل السنة حتى كان يكتب في بعض اجوبته محمد بن الطيب الحنبلي وكان بيده وبين ابي الحسن التيمي وأهل بيته من التميميين من الموالاته والمصافاة ما هو معروف كما تقدم ذكر ذلك ولهذا غلب على التميميين موافقته في اصوله ولما صنف ابو بكر البيهقي كتابه في مناقب الامام احمد وابو بكر البيهقي موافق لابن الباقلاني في اصوله ذكر ابو بكر اعتقاد احمد الذي صنفه أبو الفضل عبد الواحد بن أبي الحسن التيمي وهو مشابه لاصول القاضي أبي بكر وقد حكى عنه أنه كان اذا درس مسألة الكلام على أصول ابن كلاب والأشعري يقول هذا الذي ذكره أبو الحسن أشرحه لكم وأنا لم تتبين لي هذه المسئلة فكان يحكي عنه الموقف فيها اذ له في عدة من المسائل قولان وأكثر كما تنطق بذلك كتبه ومع هذا

تكلم فيه أهل العلم وفي طريقته التي أصلها هذه المسئلة بما يطول وصفه كما تكلم من قبل هؤلاء في ابن كلاب ومن واقفه حتى ذكر أبو اسمعيل الانصاري قال: سمعت أحمد بن أبي رافع وخلقاً يذكرون شدة أبي حامد يعني الاسفرائيني على ابن الباقلاني قال وأنا بلغت رسالة أبي سعد إلى ابنه سالم ببغداد؟ ان كنت تريد ان ترجع إلى هراة فلا تقرب الباقلاني. قال: وسمعت الحسين بن أبي أمامة المالكي يقول سمعت أبي يقول لعن الله أبا ذر فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم وأول من بثه في المغاربة

قال ابن تيمية (قلت) أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة واتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به وكان قد قدم إلى بغداد من هراة فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم كابي نصر السجزي وأبي التماسم سعد بن هلي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه وهو ممن يرجح طريقة الشافعي والضبي على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث. وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدهم على أصلها فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة أبي جعفر السماني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعلي<sup>(١)</sup> في الارشاد

ثم انه ما من هؤلاء الا من له في الاسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الالحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيه بصدق وعدل وانصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الاصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الاقوال ما أنكرها المسلمون من أهل العلم والدين وصار الناس بسبب ذلك منهم من يعظهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الامور أوسطها. وهذا

(١) هو امام الحرمين شيخ أبي حامد الغزالي شيخ ابن العربي

ايس مخصوصا بهؤلاء بل مثل هذا وقع اطوائف من أهل العلم والدين والله تعالى يتقبل من جميع عبده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) «ولاريب ان من اجتهد في طاب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه تحقيقا للدعاء الذي استجاب له الله انبياه والمؤمنين حيث قالوا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشتم على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صوابا بعد اجتهاده وهي من البدع المخالفة للسنة فإنه يلزمه ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه فقل من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين لكثرة الاشتباه والاضطراب وبعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويوزل عن القلوب الشك والارتياب، ولهذا جد كثيرا من المتأخرين من علماء الطوائف يتناقضون في مثل هذه الاصول ولوازمها فيقولون القول الموافق للسنة وينفون ما هو من لوازمه غير ظاهرين أن تناقضه ويقولون بمازومات القول المنفي الذي ينافي ما أثبتوه من السنة وربما كفروا من خالفهم في القول المنافي ولمزوماته فيكون مضمون قولهم أن يقولوا قولاً ويكفروا من يقوله !! وهذا يوجد الكثير منهم في الحال الواحد لمدم تفتنه تناقض القولين ويوجد في الحاليين لاختلاف نظره واجتهاده . وسبب ذلك ما أوقعه أهل الحاد والضلال من الالتفات المجهلة التي يظن الظان انه لا يدخل فيها الا الحق والباطل، فمن لم ينتب عنها أو يستفصل انتكلم بها كما كان الساف والائمة يفعلونه صار متناقضا أو مبتدعا ضالا من حيث لا يشعره وكثير من تكلم بالانفاظ المجهلة المبتدعة كأنفاظ الجسم والجوهر والمرض وحلول الحوادث ونحو ذلك كانوا يظنون أنهم ينصرون الاسلام بهذه الطريقة وانهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله، فوقع من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك . وهذه حال أهل البدع كالخوارج وامثالهم فان البدعة لا تكون حقا محضا موافقا للسنة إذ لو كانت كذلك لم تكن باطلا . ولا تكون باطلا محضا لاحق فيه إذ لو كانت كذلك لم تخف على الناس، وانكن شتمل على حق وباطل فيكون صاحبها قد ايس الحق بالباطل، اما مخطئا غالطا واما متعمدا

اتفاق فيه والحاد كما قال تعالى (ولا وضعوا خلافكم الفتنة وفيكم ماعون لهم) فأخبر أن المناقبين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم لا خبالا وكانوا يسعون بينهم مسرعين يطالبون لهم الفتنة وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم إما لظن مخطئ أو لنوع من الهوى أو لاجتماعهما، فإن المؤمن كما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه

«ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشهوات» وبحسب العقل الكامل عند حلول الشهوات وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلواتهم (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين) فالمنضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به والضالون عبدوا الله بلا علم، ولهذا نزه الله نبيه عن الأمرين بقوله (والنجم اذا هوى) ماضل صاحبكم وماعوى) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) اه كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو فصل الخطاب في هذا الباب

### ترجمة الطيب محمد توفيق صدقي

نمي ابنا صديقنا الصفي الوفي الطيب النظامي محمد توفيق صدقي ، ونحن في دمشق الشام بمبدين عن إدارة المنار واشتغال عنها بأعمال المؤتمر السوري الذي اختارنا لرياسته هنالك فكتبنا المنار نبذة وجيزة في تأييده نشرت في الجزء الثامن منه ووعدنا بكتابة ترجمة مفصلة له . وبعد عودتنا الى مصر اطلعنا على ترجمة تاريخية له في العدد السادس من المجلة الطبية الذي صدر في شهر مايو سنة ١٩٢٠ فرأينا ان نناقها في المنار ثم تقضى عليها بما نعلم من ترجمة العلمية الاصلاحية وهذا نص ما نشر في المجلة الطبية

المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي

«نعمي اليوم الى أهل الادب والطب سواء رجلا من أندر الرجال وهالما من العلماء الذين قضوا حياتهم في مزج الطب بالعلم الشرعي وتطبيق المبادئ الاسلامية